على التكلم وهم يثبتون قيام القدرة ومنهم المعتزلة قالوا الكلام تعالى اصوات وحروف
يخلقها في غيره كاللوح المحفوظ وجبريل او الرسول وهو حادث عندهم خلافا
للحنابلة وهذا الذي قالته المعتزلة لا ننكره نحن بل نقول به ونسميه كلاما لفظيا ولكنا
نثبت امرا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس ونقول هو الكلام حقيقة وهو
قديم قائم بذاته وهو غير العبارات كما قدمناه اذ قد تختلف العبارات بالازمنة
والامكنة والاقوام ولا يختلف ذلك المعنى النفسي وغير العلم اذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه بل
يعلم خلافه او يشك فيه واعلم ان قولنا العبارات تختلف باختلاف الازمنة يؤخذ
منه الجواب عن سؤال مشهور وهو انه قد ورد الاخبار في كلام الله تعالى بلفظ
الماضي كثيرا نحو انا ارسلنا وقال موسى وعصى فرعون والاخبار بلفظ الماضي عما
لم يوجد بعد كذب والكذب محال عليه تعالى والجواب ان اخبار الله تعالى لا يتصف
ازلا بالماضي والحال والاستقبال لعدم الزمان وانما يتصف بذلك فيما لا يزال بحسب
التعلقات فيقال قام بذات الله تعالى اخبار عن ارسال نوح مطلقا وذلك الاخبار
موجود ازلا باق ابدا فقبل الارسال كانت العبارة الدالة عليه انا نرسل وبعد
الارسال انا ارسلنا فالتغير في لفظ الخبر لا في اخباره القائم بالذات وهذا كما نقول
في علمه تعالى انه قائم بذاته تعالى ازلا العلم بان نوحا مرسل وهذا العلم باق ابدا فقبل
وجوده علم انه سيوجد وبعد وجوده علم بذلك العلم انه وجد وارسل والتغير
في المعلوم لا في العلم كما يؤخذ مما مر في الكلام على العلم والارادة واعلم ان المصنف
استدل على قدم الكلام على طريق التنزل اولا مبكتا منبها على التنزل آخر بقوله
كيف الا خرة فقال لو لم يمتنع قيام الحوادث به وقام بذاته معنى قبل وجوده او قدمه
معه وحدوثه فيه ولا معنى لاحدهما وجب اثباته في قدمه اي قدم ذلك المعنى لان
الانسب اي مع صحيح هو ان الانسب بالقديم من حيث هو قديم صفاته اذ القديم
بالقديم انسب من الحادث بالقديم لاتحاد صفتهما اعني في وصف القدم ولان الاصل في
صفات القديم من حيث هو قديم عدم الحدوث فكيف لا يجب اثبات قدم المعنى القائم

القائم بذاته اذا ابطل قيام الحوادث به بادلته المبينة في محالها فقد وجد المقتضي لثبوت
قدم المعنى القائم بذاته تعالى وهو ما ذكره من الانسب لا الخبر انه لا مانع من قدم كلامه
النفسي تعالى واذا ثبت وجود المقتضي وانتفاء المانع ثبت المدعى وقد بين المصنف
انتفاء المانع بقوله اذ يعقل قيام طلب التعلم بذات الاب من ابن سيولد قبل ان يخلق
له ولا صح او فرض خلقه اي الولد وعلمه بما هو قائم بابيه من ذلك الطلب بان يخلق
الله تعالى له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار ذلك الولد مامورا به اي بذلك الطلب
الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت علم الولد به فانه قيل القائم بذات الاب
العزم على الطلب وتخيله لا نفس الطلب لان وجود الطلب بدون من طلب منه
محال قلنا المحال الطلب التنجيزي لا المعنوي قائم بذات من هو عازم بوجود المطلوب منه
واهليته وكلامنا فيه والعلم بهما كاف وانتفاء الاستحالة فليعقل قيام الطلب فليعقل
الذي دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى ازلا ومصير موسى عليه الصلوة
والسلام مخاطبا به اي بذلك الطلب بعد وجوده اي بعد وجود السيد موسى هو
وخلق معرفته به اي بذلك الطلب او سمع اي وقت سماع السيد موسى لذلك
الكلام القديم وسمع يتعدى باللام تارة كما جرى عليه المصنف ويتعدى بنفسه اخرى
فمن الاول سمع الله لمن حمده ومن الثاني قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
هذا قول امام السنة الشيخ ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري اعني كون الكلام النفسي
مما يسمع وقد اختلف اهل السنة في كون الكلام النفسي مسموعا فذهب الاشعري الى
ان السماع يتعلق بكل موجود كما يتعلق الرؤية به والكلام النفسي موجود فاسمع
اي جاز ان الاشعري سماع الكلام النفسي الذي ليس بصوت ولا حرف على رؤية ما ليس
بلون قياسا الزم به من خالفه من اهل السنة لاتفاقهم على جواز الرؤية ووقوعها في الاخرة
قال فكما عقل رؤية ما ليس بلون ولا جسم فليعقل سماع ما ليس بصوت وهو ما لا يكون الا
بطريق خرق العادة كما نبه عليه القاضي ابو بكر الباقلاني والشيخ الامام ابو منصور الماتريدي الى
سماع ما ليس بصوت وهو الذي ذهب الاستاذ ابو اسحاق الاسفرائني ولا يتحقق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1